

آثار تأخر سن الزواج على الفرد والمجتمع

أ. نبيل زياني

المركز الجامعي بالطارف

مقدمة :

الحمد لله جل شأنه، وأشهد ألا إله إلا الله عظمت نعمائمه ومنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرفت أنواره وسننه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديهم وصفا معدنه، وبعد: من شأن الحديث عن الآثار السلبية لتأخر سن الزواج إشعار الشباب والباحثين بخطورة الظاهرة وتحفيزهم على إيجاد الحلول الجدية والفعالة للحد منها، فالأزمة تلد الهمة، والحاجة تولد الإبداع، وليست آثار الظاهرة بالأمر الهين، فقد وصف النبي آثار تعطيل الزواج عن وقته المناسب بالفتنة في الأرض والفساد العريض، وذلك في حديث أبي هريرة: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تغفلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"¹، شرح الإمام المناوي هذا الحديث فقال: "ييق أكثر النساء بلا زوج والرجال بلا زوجة فيكثر الزنا ويلحق العار فيقع القتل ممن نسب إليه العار فتهيج الفتن وتثور المحن"²، وقبل التفصيل في هذه الآثار والأخطار أود التعبير عن أحاسيس ومعاناة بعض من يعيشون هذه المشكلة، لأن الحياء يمنعهم من ذلك، فلسان حالهم: إننا بلا أزواج، بلا أطفال، بلا سعادة، أجسامنا بلا أكباد، قتلها الألم والحزن، دموعنا جارية بالليل، وجروحنا غائرة بالنهار، ونظرات الإشفاق علينا تقطع اللحم، سنون عجاف سرقت النوم من عيوننا، والابتسامة من شفاهنا، نبكي على الماضي ونخاف من المستقبل، وهو اجس مؤلمة جدا، مهما وصفناها لن تحسوا بها.

هذا لسان حالهم، وليس المقصود شباب وفتيات ليس لهن نصيب من الجمال أو المال أو العلم، فتأخر زواجهم، بل طبيبات جميلات، ومهندسات متقنات، ومحاميات ماهرات، وأستاذات جامعيات.. كلهن وكلهم ينتظرون حقهم الطبيعي، الذي جعله الله تعالى غريزته في كل المخلوقات لاستمرار الحياة، لكنه أصبح في هذا الزمن من الأحلام والأمانى صعبة المنال، مشكلة تضرب بجذورها في البنية الاجتماعية للأمة، فكما نتعرض للكثير من الأزمات الاقتصادية والسياسية.. نتعرض لهذه الأزمة التي تقطع أوصال الأسرة وتمس بقدسية الحياة الزوجية، خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه أسباب

¹ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت. الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب النكاح، (ج 3 / ص 394)، وإسناده حسن.

² فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م - (ج 1 / ص 313).

الفتن، وتوفرت فيه سبل الانحراف، فلا عاصم من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والردى، والفساد الأخلاقي، إلا بعلاج لهذه الظاهرة، فالقضية أيها الغيرون قضية أعراض وقضية فضيلة ورذيلة. إن نسبة العزاب والعازبات في الوطن العربي حسب العديد من الدراسات سنبغ 50% نهاية سنة 2011، هذا يعني أننا مقبلون على فترة تسيطر فيها العزوبية على مجتمعاتنا بشكل واضح، مما يهدد مجتمعاتنا من الداخل تهديدا حقيقيا، إن أعداء أمتنا العربية والإسلامية يحاولوا مرارا تدمير حصن الأسرة في مجتمعاتنا، فهل نرضى أن نكون نحن سببا في هذا التدمير؟، وعليه يجب أن تدخل المشكلة دائرة الضوء، دون خجل أو استهزاء أو تقزيم، إن الأرقام بعشرات الملايين، وما يختبئ وراءها أدهى وأمر، فما هي آثار تأخر سن الزواج؟ من الإنصاف العلمي أن نذكر جميع الآراء حول الظاهرة.

الرأي الأول: (الآثار الإيجابية) :

اعتبر بعض الباحثين ظاهرة تأخر سن الزواج ظاهرة حسنة، لأنها تساعد على الحد من الكثافة السكانية، وتقدم خدمة للدول العربية التي تسعى إلى تحديد النسل والتحكم في النمو الديمغرافي بما يتوافق مع إمكانية هذه الدول، ويعتبر فرخنده حسن (الأمين العامة للمجلس القومي للمرأة في مصر) أن هذا الوضع طبيعي وفقا للتحويلات الاقتصادية التي تشهدها مصر في السنوات الأخيرة، ويقول: إن نسبة العنوسة لدى المرأة المصرية غير مقلقة، ويشير إلى أن المجلس القومي للمرأة يشجع ويدعو إلى عدم الإسراع في الزواج، سواء بالنسبة للشباب أو الفتيات؛ لأنه في النهاية يصب في مصلحة المجتمع؛ للحد من التزايد السكاني، ويخفف من أعباء التنمية¹.

هذا على مستوى الأمة، أما على مستوى الفرد فيرى أصحاب هذا الرأي وجوب تأخير سن الزواج لأنه يدفع الفتيات للنضج العقلي أكثر والتحدي وإثبات الذات، واكتساب قدرة على التعبير عما في النفس والاستقلال بالذات، ويتيح للمرأة فرصة إتمام الدراسة، ثم العمل، لأن عمل المرأة له دور مهم في التنمية، لا يمكن إبعاده.

وأجيب على هذا الرأي بأن تقليل أو تحديد النسل يصطدم مع عقيدة التوكل بعد الأخذ بالأسباب، وتوفير أعباء المعيشة له أسباب كثيرة جدا بدلا عن تحديد النسل، أما شخصية التحدي في المرأة والاستقلال بالذات فإنها تزيد المشكلة عمقا لأن الرجل في مجتمعنا لا يميل إلى هذا النوع من النساء، أما تعارض الزواج مع الدراسة أو العمل فغير صحيح، لأنه مخالف للواقع تماما.

¹ جهاز التعبئة العامة والإحصاء بمصر، مقال بعنوان قنبلة بمصر موقع <http://www.haridy.com/>

الرأي الثاني : (الآثار السلبية) :

. أولاً : آثارها على الدين :

الزواج والإنجاب خلال العقد الثاني أو الثالث من عمر الإنسان مطلب شرعي ومقصد أساسي من مقاصد الزواج، لما فيه من تحصين النفس وحل مشكلة الغريزة . التي تكون أقوى ما عليه في هذين العقدين . و استخلاف الناس في الأرض، كما قال تعالى : "هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ"¹، فتأخير الزواج مخالفة للشرع الحكيم، الذي أمر بتزويج الأبقار، وحث الشباب على المسارعة إلى هذا الأمر المحبب إلى الشارع، وقرنه بالرحمة والنعمة في كثير من الآيات كقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"²، وقال: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَبَيْنًا وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ"³.

وعليه فإن تأخير الزواج لتقليل لسواد المسلمين وإضعاف لقوتهم وتعطيل لمقصود الله تعالى في الخليقة من تعمير الأرض بالصالحين، ومخالفة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالزواج وقوله : "إني مكاتر بكم الأمم"⁴، وهو سبب للحرمان من الأجر من خلال حسن المعاشرة وتربية الأولاد على الإسلام، وتكوين الأجيال الصالحة ودعاؤهم بعد الممات، فكل تأخير عن الزواج يعطل هذه الأجور والعبادات النبيلة، فإذا تعطل الزواج تعطل نصف الدين، بل قال الإمام أحمد : "ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء"⁵.

. ثانيا : آثارها على النفس :

هي أكبر وأخطر الآثار، بعضها يغلب وقوعه للإناث، وبعضها يغلب وقوعه للذكور، وما يقع للإناث أكثر وأشد، لم أقصد التركيز عليها، وإنما جاءت نتيجة للبحث لا غير . تم الاتفاق على أن معدل العزوبية عند الإناث أكبر من معدل العزوبية عند الشباب، وينظر الكثيرون في مجتمعنا إلى الفتاة التي لم تتزوج نظرة نقص، وهي نظرة سلبية قاسية وبالتالي فالفتاة أكثر معاناة من الشاب؛ لأن الشباب مهما طالت سنوات عزوبته، فزواجه ممكن ولا عيب فيه، فهو الطالب وليس المطلوب، أما الفتاة فقد تصل إلى سن يذبل فيه شبابها، وتفقد قدرتها على الإنجاب، وهذا عيب

¹ [فاطر/39]

² [الروم/21]

³ [النحل/72]

⁴ سنن الترمذي، مصدر سابق، (ج 1 / ص 6).

⁵ الورع، أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية – بيروت - تحقيق : د. زينب إبراهيم القاروط، الطبعة الأولى، 1403 - 1983، (ج 1 / ص 118).

في نظر المجتمع، فتمارس عليها ضغوطات نفسية وتحاصر من كل جانب وتحاسب على كل سلوك تقوم به، كأنها قتلت الناس جميعاً.

تسمع السخرية والتلميح الجارح والغمز واللمز، فتشعر بالحزن والاكتئاب، ثم تلجأ إلى النفور من الناس والوحدة، ثم تهاجمها الهواجس في النهار، والأرق في الليل، تفكيرها كله انتظار لمن ينتشلها من هذا العذاب، تقول إحدى طبيبات علم النفس . أستاذة منال زكريا/جامعة القاهرة . : "إن العانس إنسانة قلقة نفسياً وعاطفياً خاصة إذا عوملت ممن حولها معاملة فيها نوع من الإحساس بالنقص أو الشفقة، وأحست أن وضعها معيب في المجتمع، والمؤكد أن الزواج وما يتبعه من الأناشيد والعاطفة وإشباع الحاجات الغريزية والنفسية من أهم أسباب السلامة النفسية والعصبية، فنحن النساء صعب علينا أن نعيش بلا رجال"¹، وصدق الله العظيم، إذ يقول: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"².

وتعاني من تقدم بها السن ولم تتزوج من الإحساس بالدونية، وتحمل في داخلها خوفاً دفيناً من المستقبل خاصة، حين تفقد الأمل في الزواج، وتتخيل أنها ستكبر وتجد نفسها تعيش وحدها بعد وفاة الوالدين وانصراف الإخوة والأخوات إلى حياتهم وانشغالاتهم، ثم تتحول أحاسيس القلق والحرمان والإحباط إلى الغيرة والتبرم من المجتمع، وإذا رأت إحداهن تتزوج وهي أقل منها سناً تشعر بالحسرة وتتجرع الغصص، ويتقد في قلبها لهيب الجراح، وتتخيل أن تلك المتزوجة قد ذهبت إلى جنة وبقيت هي في سجن مكسورة خاطر، ترهق عقلها وجسدها بتخيلات عاطفية وغرامية بعيدة المنال، ولسان حالها قوله تعالى: "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا"³، أو قول الشاعر : كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً

والكثير من هذه التأثيرات النفسية تستمر مع الفتاة حتى لو تزوجت في وقت متأخر، فإنها تستمر في مشاعر القلق والتبرم من المجتمع، بما في ذلك الزوج الذي يجب حسب اعتقادها ألا يُشعرها أبداً بالفضل والمنة عليها لأنه تزوجها، فتعيش معه بحذر شديد.

وعند بعضهن تنتقل مشاعر الغيرة وانتقاد المجتمع إلى الحقد والعصبية والعدوانية وحب الانتقام، وبعضهن يقعن في التآمر والكيد والتنكيد على بعض المتزوجات أو يتورطن في بعض الجرائم نظراً لتراكم الغضب بداخلهن، تصل تلك الجرائم إلى الانتحار، كما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية (في 15 محرم 1417 الموافق 1996/6/1) عن إقدام ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون زوج، وقال الناطق باسم شرطة بومباي : إن

¹ الموقع الإلكتروني للمجلس اليمني للإسرة والمجتمع، آثار العنوسة على المرأة، ملف بتاريخ 2004/06/18.

² [الروم/21].

³ [مريم/23].

الأخوات الثلاث كن يعتبرن أن حظوظهن في الزواج تكاد تكون معدومة، واعتبرن أنهن لا يمكن خيارا آخر سوى الانتحار، وقد انتحرت الأخوات الثلاث : فيجايانتي (30 عاما) وشاكونتالا (25 عاما) ويامونا سوفارنا (20 عاما) في ضاحية العاصمة الاقتصادية والمالية للهند. وقال : إن والد المنتحرات الثلاث أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى¹، نرجو ألا نسمع مثل هذا في بلادنا لأننا أصحاب عقيدة وإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر .. لكننا سمعنا عن مقدمات الانتحار وهي السخط واللعن، فكثيرا ما تقول إحداهن : "الموت خير لي"، "الله يلعن هذه الحياة.. التي لا زوج فيها ولا أولاد" وغيرها، كأن الزواج هو كل شيء في الدنيا، ولم تعلم أن آلاف الزوجات ابتلين بأزواج قساة، ظلمة، يشتهين الموت أكثر ممن لم يتزوجن، ولعل بعضهن أقدمن على الانتحار.

ويلاحظ أن هذه التأثيرات التي ذكرتها تختلف من فتاة لأخرى حسب تدينها وتعقلها، فلا تعاني منها كل الفتيات، فهناك من وصلن إلى مرحلة القناعة والرضا بقضاء الله تعالى وقدره، واستطعن صرف تفكيرهن عن موضوع الزواج إلى مواضيع أخرى، مثل العمل أو العلم أو الاهتمام بالشأن العام أو الاهتمام بالأهل، هذا هو حال الفتاة المسلمة الملتزمة التي تقدر العفة، نتمنى أن تكون كل الفتية كذلك.

أما بالنسبة للتأثيرات النفسية الخاصة بالذكور أو تغلب عندهم، فهي الكبت الذي تنتج عنه أمراض جنسية خطيرة كالشذوذ والعادة السرية وما يصحبها من توتر عصبي دائم وأمراض ضغط الدم والقلولون وقرحة وحموضة المعدة والمزاج العصبي الثائر واختلال وظائف الغدد وإدمان المنبهات والمسكنات وإضعاف النشاط الحيوي والذهني للجسم وبالتالي إضعاف المستوى الصحي بشكل عام.

ومن التأثيرات النفسية لتأخر سن الزواج عند الشباب إهدار الطاقة النفسية والمعنوية بإضاعة الحيوية، والفتوة، وغزارة والتفكر والذكاء، والشجاعة النفسية، والإقدام، والمبادرة، والحركية، وغيرها من الصفات النفسية التي يتميز بها أغلب الشباب، إضاعتها وإهدارها بالمغامرات، والمغازلات، والمكاتبات والأدبيات المنحرفة، وملاحقة للجنس الآخر، وتتبع المغريات المقروءة، والمسموعة، والمرئية، والإدمان على الأنترنت والدخول إلى الموقع الإباحية، أو الميل إلى حياة اللهو كالقمار والميسر واللامبالاة والسعي وراء الملذات الشخصية وقد يسوقه الانحراف إلى الشذوذ، وهكذا تضع سنوات عديدة من عمر الشباب، هي جزء من عمر الأمة المحتاجة إلى طاقة شبابها.

. ثالثا : آثارها على الأخلاق :

¹ غير متزوجات ولكن سعيدات، محمد رشيد العويد، (ج 1 / ص 13).

عندما يصل التأخر عن الزواج إلى مرحلة يحصل معها الاقتناع بصعوبة تحقيق هذا الحلم، فلا عاصم من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والفساد الأخلاقي إلا الله تعالى، تهبط الأخلاق وتتغير المفاهيم، ويصبح الزواج شيء مذموم وعقبة أمام الحرية وتحقيق الطموحات، ويُفسح المجال لنظريات الاختلاط ونزع الحشمة والحرية الجنسية، وتنامي ظاهرة اختطاف الفتيات والهروب معهن، والأنكحة الفاسدة كالزواج العرفي (بغير شهود) والبحث عن زواج المتعة، ومن جهة البنات كثرة السفور والتبرج كمحاولة ساذجة من بعضهن لجذب أنظار الرجال قصد الزواج منهن، وأوضح الدكتور أحمد المجذوب الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية وصاحب العديد من الدراسات الميدانية عن هذه المشكلة أنه قد نفتت ظواهر غريبة للزواج بين طلبة الجامعات بطريقة عرفية وودية، ووصل الأمر إلى الزواج عبر شريط كاسيت يسجل كل واحد فيه اعترافه للآخر بالزواج¹، وقد أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية أن 255 ألف طالب وطالبة - يمثلون نسبة 17 في المائة من طلبة الجامعات - قد اختاروا الزواج العرفي، نتج عنها أكثر من 15 ألف دعوى تنظرها المحاكم لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي وزني، فضلا عن الزيادة المطردة في عدد اللقطاء².

هذه الأرقام الفلكية من جرائم الزنا، والوقوع في الفاحشة والإجهاض وقتل المواليد سبب لوقوع البلاء، ونزول العذاب من الله تعالى، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا ظهر الزنا و الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله"³.

رابعاً : آثارها على المجتمع :

يتسبب التأخر عن الزواج في ازدياد المشكلات الاجتماعية ضمن الأسرة الواحدة وبين الأسر المختلفة، فالشباب أو الفتاة في هذه الأسرة سوف تكون عنصر تنغيص لوالديها، أو لزوجة أخيها، أو لغيرهم، مما يعكر الحياة الهادئة للأسرة، ويعرضها للتفكك بسبب سرعة الانفعال والمشاكل المختلفة، ولا شك أن كل أسرة في هذا المجتمع تسعى للسمعة الطيبة، والذكر الحسن، واجتتاب العار والسمعة السيئة، و من أسباب تلك السمعة السيئة، وجود العوانس داخل الأسر، مما يجعل الأصابع تشير إلى ذلك المنزل، وتلك الأسرة، بعلامات الاستفهام والاتهام، لماذا لم تتزوج ابنتهم وقد بلغت من السن مبلغ الزواج، لا بد أن في الأمر شيء، وهنا يبدأ الناس يشككون في هذه الأسرة وفي تلك البنت العفيفة، دون

¹ موقع haridy.com، مقال سابق.

² المرجع نفسه.

³ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت . ، الطبعة الأولى ، 1411 - 1990، (ج 2 / ص 43) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وعلق عليه الذهبي : صحيح.

رحمة، فيشعر جميع الأفراد بالهم والغم، بل الخزي والعار في بعض الأسر، والخوف من نظرات الناس وتفسيرها خطأ، مما يؤثر بصورة سلبية على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ناهيك عن غضب بعض الأسر من أقاربهم نتيجة عزوف شبابهم عن الزواج من بناتهم، وانخفاض نسبة الزواج تحرم المجتمع من روابط المصاهرة والنسب، كما تثبت وتترعرع في ظلها العادات الجاهلية؛ كالسحر والدجل والشعوذة، طناً من البعض أن هذا سيؤدي إلى زواج البنت أو الولد.

ومن التأثيرات الاجتماعية لتأخر سن الزواج؛ التسرع فيه للخلاص من شبح العنوسة بغض النظر عن كفاءة ومواصفات الزوج، بل قد تقبل بعض العوانس بزواج منقوص الحقوق مثل (زواج الميسار)، وتبدأ في التخلي شيئاً فشيئاً عن الصفات التي ترغب بتوفرها في شريكها، ونتيجة للضغوط التي تمارس عليها داخل المجتمع والأسرة، تجد نفسها مدفوعة لقبول برجل لمجرد الزواج فقط، كما يقال: (رجل من عود خير من قعود)، بعيداً عن الحب والشعور المتبادل، وبعيداً عن الثقة، متخيلة عما تستحقه من كفاءة وسمو، وهناك فتيات كثيرات ضحين بأسس ومقومات زواجهن الصحيحة، فاكتشفن بعد الزواج صفات الزوج السلبية كالإدمان وتعاطي المخدرات والمشروبات الروحية، والفقر والخداع، فصدمن بالواقع الذي يعشنه والمنتهي إما إلى البؤس والندم مدى الحياة، أو إلى الطلاق وتشرذم الأبناء، فالتسرع والانديفاع يؤدي إلى نتائج عكسية لأن كل علاقة زواج لم تبني على قناعة وعدم التكافؤ سرعان ما تدب إليها الخلافات الحادة والمشاكل والملل والنفور...

أما الرجل المتأخر في الزواج فلا يقبل أن يتزوج ممن تقاربه في السن، بل سيتزوج من فتاة صغيرة، فيكون زواجه غير متكافئ؛ بسبب الفارق العمري بينهما، واختلاف أفكارهما ومستوى النضج والاهتمامات، وأمزجة كل منهما، وكثيراً ما يتزوج الرجل من أي فتاة إرضاءً للأهل، دون وجود التوافق الروحي والعقلي والحب، ومثل هذا الزواج ينعكس سلبياً على الحياة الزوجية، فإن كانت المرأة غالباً ما ترضى بما قسم لها من نصيب، فإن الرجل لا يرضى بذلك، فلا يفكر إلا بالطلاق والزواج من أخرى يختارها بدقة.

ورود في إحدى الدراسات وجود علاقة بين حالة العزوبة وفعل الإجرام، حيث وجدت نسبة المجرمين 38 من العازبين، مقابل 17 من المتزوجين¹.

ويدفع التأخر في الزواج بالكثير من الشباب إلى الهجرة غير الشرعية بحثاً عن فرص عمل ودخل أكبر، فيتعرضون إلى مخاطر عظيمة.

. خامسا : آثارها على الصخة :

¹ الآثار الناجمة عن تأخر سن الزواج، صفحة شباب، موقع www.balagh.com.

تأخر سن الزواج يعني تأخر الإنجاب بل انقطاعه أحياناً؛ فالفتاة التي تأخرت إلى أن يصبح عمرها خمساً وثلاثين سنة لم يبق من عمر إنجابها سوى خمس سنوات أو قريباً من ذلك، وفي هذا من الضرر وتقليل النسل ما فيه، لأن الخصوبة و إنجاب الأولاد لدى المرأة تبدأ بالتناقص بعد الثلاثين، وقد تقرر علمياً أن الخصوبة تكون في أعلى درجاتها فيما بين سن 18 إلى 25 سنة، ثم تتناقص تدريجياً بعد ذلك، وفي حالة حدوث حمل بعد هذا السن تتزايد نسبة حالات الإجهاض لتصل إلى ثلاثة أضعاف، أما الولادات القيصرية فترتفع بـ 20% في هذا العمر، كما يتم اللجوء إلى عمليات الجراحية جانبية بنسبة 55% بين تلك السيدات اللاتي تجاوزت أعمارهن 35 سنة، فضلاً عن تعرضهن بدرجة أكبر لارتفاع ضغط الدم، ومضاعفات الحمل الأخرى. يقول الدكتور الأميركي بيدي سيجل في كتابه (الطب والحب ومعجزات الشفاء): "إن الأبحاث أظهرت وجود علاقة بين حدوث مختلف أنواع السرطان وغياب العاطفة الإيجابية، فالكراهية العنيفة والانفعالات العصبية وراء العديد من أمراض العصر الحديث المادية مثل قرحة المعدة"¹، ومما أثار دهشة الباحثين أن الإنجاب المبكر يقي من الإصابة بسرطان الثدي، والإنجاب المتأخر يسببه.

والأبحاث الطبية في كل مكان تثبت أن تأخر سن الإنجاب يسبب أمراضاً للأم، خاصة بعد سن الثلاثين، وأن من تحمل لأول مرة في سن الثلاثين - وما بعدها - تتعرض لتسمم الحمل الذي يؤدي إلى ارتفاع شديد في ضغط الدم يؤثر على الكلى، مما قد يعرض حياة الأم والطفل للخطر، وهذه الأبحاث توضح بجلاء مدى تأثير الزواج المتأخر على صحة الأبناء، فالأمهات كبيرات السن قد يتعرض أولادهن للإصابة بأحد مرضين هما: تشوه العمود الفقري، ونقص تكون المخ وعظام الرأس، كما تزداد حالات الإسقاط ووفيات الأجنة، واحتمال ولادة أطفال منغوليين حيث ترتفع نسبتهم بشكل ملحوظ عندما يزيد عمر المرأة عن 35 سنة. ويقول "محمد رهونجي": "إذا تزوجت المرأة في سن متأخرة تكون عرضة لتشنجات عصبية شتى، وتكون ولادتها غالباً عسيرة، حيث إن أعضاءها التناسلية لا تكون مرنة كالتي عند الفتاة الصغيرة، والحمل عندها مؤلم لأن الحوض الذي يحوي الجنين لا يكون قابلاً للتمدد حسب نمو الجنين، ويكون القلب والرئتان والكبد والمعدة عرضة للتشنجات، وقد توصل أحد العلماء السويديين إلى أن فصام الأبناء سببه الزواج المتأخر، وذكروا أن الأطفال الذين يولدون لآباء تبلغ أعمارهم 45 عام أو أكثر معرضون للإصابة بالفصام، بنسبة تزيد ثلاث مرات عن الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 20-24 عاماً²، والفصام حالة مرضية تجعل صاحبها منفصلاً عن الواقع، مزدوج الشخصية، متناقضاً بين قوله وفعله، مخطئاً في تقدير ظروفه، خالياً من المشاعر، غير مكترث بشيء، وعلاج هذا المرض قد يدوم طول العمر.

¹ غير متزوجات، ولكن سعيدات، مرجع سابق، (ج 1 / ص 2).

² الإنجاب المتأخر يؤدي لولادة أطفال مصابين بالفصام، ساحة الطب والاسرة، الموقع الإلكتروني ساحة العرب.

ومن جانب الطب النفسي يرى المختصون أن المتزوجين أوفر صحة من العازبين وأطول عمرا إذا كانت حياتهم مستقرة، وقد أكدت الدراسات وجود هذه العلاقة بين الصحة النفسية والزواج، بل بينت دراسة أجراها علماء نفس في جامعة شيكاغو عن حالات الجنون عند المتزوجين وغير المتزوجين من الجنسين، فوجدوا أن نسبة المجانين من العازبين بلغت 83%. وتوصلوا أيضاً إلى أن عددا كبيرا من الفتيات قد أصبن بأمراض عصبية كالصرع والإضرابات في الدورة الدموية والجهاز العصبي، وبالزواج يمكن الشفاء من هذه الأمراض¹، وبالنسبة للرجال، فإن الارتباط بفتيات صغيرات بفارق معتبر، يتسبب في خلق نسل ضعيف عليل، وهذا طبيعي ناتج عن تأثير شيخوخة الأب في الجنين.

. سادسا : آثارها على الاقتصاد :

- لقد بين لنا النبي ص أن النكاح من سبل استجلاب الرزق وتوسيعه، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "ثلاثة حق على الله أن يعينهم المجاهد في سبيل الله و الناكح يريد أن يستعف و المكاتب يريد الأداء"²، وبالتالي فكل تأخير عن الزواج هو تقليل لهذا الرزق من الله تعالى، بل فيه استنزاف لما هو موجود من الثروات المالية كان من الممكن صرفها في مجالات أخرى، فإذا ارتفعت نسبة العنوسة في المجتمع وكادت أن تجرف بأخلاقه وصحته وهددت بنيته في الصميم؛ فلا ملاذ من بذل الغالي والنفيس من أجل درء تلك المفاصد، وفي مدينة سعودية رفع شعار : تزوج الثانية واحصل على 20 ألف ريال !! مكافأة مالية قدرها 20 ألف ريال (حوالي 5 آلاف دولار أو 40 مليون سنتيم) مكافأة عاجلة لكل شخص يتزوج امرأة ثانية، مبادرة لجأت إليها إحدى القبائل السعودية للقضاء على مشكلة العنوسة بالمملكة، وتأتي كخطوة لتضاف إلى سلسلة خطوات ومبادرات رسمية وغير رسمية كحفلات الزفاف الجماعي تم إطلاقها في ذلك المجتمع لحل مشكلة العنوسة، في الكويت تصرف الدولة رواتب شهرية للمطلقات والعوانس والأرامل لتخفيف الضغط النفسي عليهن، وهذا يمثل عبئا كبيرا على ميزانية الدولة، وتؤثر الظاهرة على زيادة التكاليف لمداواة الأمراض والانحرافات التي تصيب أفراد المجتمع بسبب الظاهرة، وتحمل مؤسسات الدولة مصاريف إضافية لدعم المؤسسات الصحية والإصلاحية والقضائية والعقابية والتي تشتغل بإفرازات هذه الظاهرة الاجتماعية.

ومن تأثيرات ظاهرة تأخر سن الزواج السلبية على الاقتصاد لجوء بعض العزاب إلى طرق الكسب غير المشروع كالتهريب والسرقة وتزوير العملات والفساد المالي بمختلف أنواعه من أجل تأمين تكاليف الزواج والسكن، كما تحول المعاناة النفسية للعانس الذكر أو الأنثى دون تحقيق مردودية جيدة

¹ موقع www.balagh.com، الموضوع السابق.

² المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج 2 / ص 174) هذا حديث صحيح على

شرط مسلم و لم يخرجاه، وتعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم

في العمل، وتحقيق الكفاءة والإبداع والتميز، لأن الجوع الجنسي مثل الجوع المعدي، إذا استحوذ على الفرد عطل تفكيره وحركته..

الخاتمة :

أختم هذه المداخلة بالتأكيد على خطر العنوسة وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع، وفي الوقت نفسه لا يلزم من وجود تلك الآثار وخطورتها أن كل عانس تعاني منها، أي ليس كل من تأخر زواجه ذكرا أو أنثى يعاني من تلك المشاكل النفسية والأخلاقية، فالسعداء منهم كثير، والراضيات بقضاء الله كثير أتم الرضا كثيرات، يصدق فيهن قول الشافعي :

دع الأيام تفعل ما تشاء,,, وطب نفسا إذا حكم القضاء

الزواج رزق يسوقه الله عز وجل إلى من يشاء من عباده، كما يسوق المال والعلم والقوة لمن يشاء من عباده، وكما يمنع المال والعلم والقوة عن بعض عباده ابتلاء؛ يمنع الزواج عن بعض عباده ابتلاء، أو يرزقهم الزواج ويمنعهم الولد ويجعل من يشاء عقيما، كل ذلك لينظر كيف يعملون، فله الحمد على قضائه والشكر له على إحسانه ونعمائه.

نعم للأمل، لا للتوتر والقلق فإنه لا يقدم شيئا، والسعادة ليست مرتبطة بالزواج، وليست كل من تزوجت سعدت بزوجها، وليست كل من تزوجت رزقت بالابن، وليست كل من رزقت بالابن جاءها صحيحا معافى أو صالحا مرضيا، فما أكثر من يعيشون التعاسة بعينها والعيش النكد مع أزواج وأبناء لو عرف العبد حالهم قبل الزواج لأخر الزواج إلى ما بعد الموت، والله تعالى يقول : "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"¹، نسأل الله تعالى العفو والمعافة في الدين والدنيا والحمد لله رب العالمين.

¹ [الكهف/46].